إيمي واينهاوس

حتى بعد مرور عقد على رحيلها، لم تنجُ الفنانة البريطانية أيمي واينهاس، من ماكينة صناعة «صورة النجم»، إذ تغص السنوات الماضية بمحاولات «تلميع» صورة واينهاوس، وقلب الرأي السائد حولها؛ إذ سُوّق لها على أنّها «الفتاة الصغيرة الهشة» ضحية الذكورية القمعية

لم تعتذر في أيّ مناسبة عن جرأتها المفرطة (إيان غافان/Getty)

شياطين امرأةٍ تصرخ: لا

لينا الرواس

تصدّرت أيمي واينهاوس عناوين الصحف البريطانية خلال حياتها القصيرة، التي انتهت بشكل مأساوي في عام 2011. اليوم، وبعد عشر سنوات على رحيلها، ما زالت واينهاوس لغزاً كبيراً، ومثار جدل في أوساط الفن والصحافة، التي ركزت على حياتها الشخصية إلى حد كبير، خصوصاً علاقتها المضطربة مع زوجها بليك فيلدر سيفيل، وعلاقتها المتوترة مع والدها، إلى جانب إدمانها الشرس على الكحول والمخدرات.

شهرتها العالمية، ووقوفها بين فناني الصف الأول في بريطانيا، خصوصاً بعد فوز أغنيتها back to black بخمس جوائز أكاديمية، لم يمنعاها من ممارسة سلوكها الجامح والحاد؛ فحفلاتها غير المكتملة، أو الملغاة بشكل مفاجئ، واستمرار سلوكها التدميري الذاتي، وصولاً إلى وفاتها المبكرة بسبب الكحول، شكلت لعام كامل، وفق كتاب «مسألة موسيقية عن الحياة والموت»، عشرة في المائة من إجمالي المحتوى المنشور على موقع «تويتر».

حتى بعد رحيلها، لم تنجُ أيمي من ماكينة صناعة «صورة النجم»، إذ تغص السنوات الماضية بمحاولات كثيرة لـ «تلميع» صورة واينهاوس، وقلب الرأي السائد حولها؛ إذ سُوّق للفنانة الراحلة على أنّها «الفتاة الصغيرة الهشة» ضحية الذكورية القمعية، وأحداث الطفولة التي أنهت حياتها في آخر الأمر، وبشكل غير مباشر.

تمت إعادة إنتاج شخصية واينهاوس مرات عدّة، بوصفها «البطلة الإيجابية» التي تستحق «تبريء العامة» لها، عبر مجموعة من الأفلام الوثائقية، ولقطات الفيديو الشخصية، والمقابلات المسجلة والصوتية، والسير التي تروي قصة «ثالثة» عن حياة واينهاوس، وصولاً إلى وثائقي يتم إنتاجه الآن، على أن يصدر قريباً، بمناسبة مرور عقد على رحيلها، يُروَّج له على أنّه «يحكي ما لم يُحكَ سابقاً» عن حياة المغنية البريطانية. في إطار صناعة الضحية هذا، تتشكل نسخة «مزيفة» عن أيمي، تروي حكاية ملمعة ومغسولة، تضع كل ممارساتها في سياق «رد الفعل». فيصف الفيلم الوثائقي للمخرج آسيف كابانديا، الذي يحمل عنوان «أيمي»، الفنانة الشابة على أنّها فتاة حساسة، أفشلها غياب والدها، وأجبرتها طراوة والدتها على «التشبه بالرجال»؛ أغرقتها الكآبة منذ مراهقتها، ودفعتها إلى البحث الدائم عن الحب بسذاجة وسطحية؛ فيظهر في الفيلم والدها ميشيل واينهاوس ومدير أعمالها راي كوزبيرت وهما يجبرانها على العمل رغم مرضها الشديد، أما زوجها بليك، فيهجرها حال وقوعها في حبه، ويعود إليها بعد تحقيق شهرتها، موقعاً إياها خلسة في فخ المخدرات؛ الأمر الذي سيؤدي لاحقاً إلى إدمانها المرضي.

> تتشكل نسخة «مزيفة» عن أيمي تروي حكاية ملمعة ومغسولة

لم تعد أيمي «حطام قطار» أو «إعصار» كما وُصفت في الصحف البريطانية أثناء حياتها، بل باتت مجرد شابة ضعيفة قابلة للعطب. وخلافاً للصورة التي قدمتها عن نفسها طوال سنوات حياتها، بوصفها رمزاً لتحطيم الصورة الأنثوية النمطية، الشابة غير المبالية بأحكام المجتمع، والساخرة من إعلام الشو بيز، باتت أيمي المرأة الضعيفة المضطربة، وما سلوكياتها الاجتماعية المختلفة إلّا وسيلة للتكيف مع شهرة كادت تبتلعها. يشير كلّ من بيركيرز وإيكلير، في مقال لهما، إلى أنّ تلك المحاولات لتطهير شخصية أيمي، ليست إلّا تعزيزاً لأيديولوجيات «الأنوثة المستكينة» و«التبعية البنيوية»، والفكرة القائلة بأنّ نمط الحياة النشط والمجازف المرتبط بالروك آند رول لا يصلح للنساء، وقد يؤدي في كثير من الأحيان إلى هلاكهن.

الفنانة التي لم تعتذر في أيّ مناسبة عن جرأتها المفرطة، ولا سعت في يوم إلى تبرير نمط حياتها الذي قد يبدو فاحشاً بالنسبة للبعض، أدلت أخيراً باعتذارها للمجتمع، إلّا أنّه اعتذار قصري، وردّ على ألسنة من حولها، من دون أدنى رغبة منها.

لم يقتصر الأمر على تحليل سلوكيات واينهاوس وخياراتها الحياتية وحسب، بل سعت الشاشة الكبرى إلى دراسة أعمال الراحلة الموسيقية على ضوء حياتها الشخصية أيضًا؛ فوظف فيلم pape كلمات أغاني الفنانة الشابة لدعم سردية مبتذلة عن الفتاة المرهفة التي تخنقها أيدي من هم حولها، خصوصاً الرجال، بينما تقف متفرجة بلا حول ولا قوة، ويشير عبر مشاهد عدة إلى علاقة أغنية stronger than me، بتجربتها العاطفية الأولى، وأغنية What is it about Men? بهجران والدها لأمها.

هكذا، وعلى مدى سنوات عديدة، رُوّج لأغاني واينهاوس على أنّها «صرخة استغاثة» وليست تمرداً واعياً على السيطرة المؤسساتية الأبوية. وفي حين تم التشديد على تلك الصلات المحتملة بين أغاني واينهاوس وتجاربها الشخصية، لم يتم الإشارة، وإن لمرة واحدة عبر تلك الأفلام، إلى الجانب الفني في موسيقاها؛ إذ عرفت واينهاوس بقدرتها الكتابية الهائلة، بأسلوبها الارتجالي، وتوفيقها بين اللحن والكلمة المنطوقة، وأدائها المتقن؛ سواء في الاستديو أو على خشبة المسرح، فغناء أيمي الصلب، ومزجها المدروس بين الأنواع الموسيقية المتضاربة، مثل السول والبلوز والجاز والروك، وصوتها الكونترالتو الفريد، وضعها في قائمة VH1 لأعظم 100 امرأة في تاريخ الموسيقى، وجعلها صاحبة الألبوم الأكثر مبيعًا في المملكة المتحدة في القرن الحادي والعشرين، فضلاً عن كونها أول امرأة بريطانية تفوز بخمس جوائز غرامي، والحائزة على الرقم القياسي لأكبر عدد من الجوائز التي قد تحققها فنانة في ليلة واحدة.

من المؤكد أنّ المرأة التي تقف خلف هذه الإنجازات، ليست هي نفسها المرأة الهشة المنقادة، وإن كانت قد اتخذت بعض الخيارات السيئة التي أودت بحياتها، وهو أمر لا نستطيع إنكاره، إلّا أنّها كانت صاحبة قرارها، تماماً كما تخبرنا في أغنيتها rehab: «يجبرونني على الذهاب إلى مصحة التأهيل، لكنّني أقول: لا لا لا». غيبت ممارسات الإعلام ومعه نتاجات الشاشة الكبرى والسير الذاتية هذه الـ «لا» الواضحة والحدة في خطاب واينهاوس، واضعة الجماهير أمام نسختين من أيمي؛ فهناك المرأة التي احتضنت شياطينها الشخصية، غير مبالية بأحكام الآخرين، الشابة المتمردة بحق، والأخرى هي تلك المسخ عن الحقيقة، خيال رفيع، بالكاد يمكنك رؤيته لشدّة وهنه.

محاولة أخرى

صدر، أخيراً، وثائقي بعنوان «إيمي واينهاوس: 10 يبرز أون» تحكي فيه والدة واينهاوس تفاصيل عن حياة ابنتها. تقول الوالدة، جانيس واينهاوس: «لا أشعر أنّ العالم عرف إيمي على حقيقتها. إيمي التي ربيتها... وا تطلع للفرصة كي أقدم مفهوماً عن جذورها ونظرة أعمق عن إيمي الحقيقية». محاولة أخرى، إذاً، لتصدير صورة معينة عن واينهاوس، لا نعرف مدى تطابقها مع الحقيقة.

أخبار

على خشبة مسرح سيد درويش في الإسكندرية، تقيم «**دار الأوبرا المصرية**»، عند الثامنة من مساء الخامس من الشهر الجاري، عرضاً بعنوان «كوكب الشرق»، تؤدي فيه مجموعة من أعمال السيدة أم كلثوم.

صدر للمغنية **توني واتسن**، ألبوم جديد، بعنوان Welcome To The Madhouse. عملٌ جرى ترقّبه كثيراً، بعد نجاح أغنيتها Dance Monkey، وانقسم الجمهور بين من وجد الألبوم ناجحاً، ومن وجده خطوة متواضعة في بداية طريق طويل.

ضمن فعاليات برنامج «مترو فون» التي ينظمها «مترو المدينة» في بيروت، يؤدي الفنان اللبناني **سامح بو المنى**، يومي غد وبعد غد، مجموعة من أعمال الفنان الراحل سامي الصيداوي، وذلك عند الساعة التاسعة والنصف مساءً.

في الثالث من أغسطس/آب، تقيم فرقة «**الأوّله بلدي**» المصرية، عرضاً في «ساقية الصاوي» في القاهرة، عند الساعة التاسعة مساءً، تؤدّي فيه مجموعة من أغاني الفنان الراحل الشيخ إمام عيسى (الصورة).

أصدر ورثة **برنس** ألبوم للفنان الذي شكّل أحد أبرز المغنّين الأميركيين في القرن العشرين. الألبوم يطرح للمرة الأولى بعد خمس سنوات على وفاته، وتُظهر أعماله نظرة الموسيقي الاستشرافية لواقع الولايات المتحدة اليوم.

يا ويل ويلي
«سفر» في بيت دمشقي مظلم

عمر بقبوق

على أضواء الليدات والبطاريات (إنارة بديلة) في العاصمة السورية دمشق، التي تكاد تفقد الكهرباء تماماً، تكتب وتنفذ الكثير من المشاريع الفنية؛ بعضها يتمكن من تجاوز عقبات الواقع الصعب، بفضل الإنتاجات الضخمة الباذخة، التي تتمكن من إضاءة دروب وحكايات غير واقعية في مدينة البؤس والظلام، لتنتج صورة فنية عن مدينة جامدة لا تشبه شيئاً. في المقابل، هناك تجارب فنية موازية لها، تنتج بميزانيات منخفضة، ولا تجد سبيلاً أمامها سوى استخدام ما يتاح لها من الطاقات البديلة، لتعكس جانباً أكبر من الواقع، من دون تكلف؛ وهذا ما نراه واضحاً في أغنية فرقة «سفر» الجديدة.

«سفر» هي فرقة موسيقية سورية، مضى أكثر من عشرين عاماً على تأسيسها، وتتكون من عازف العود وافي عباس، والمغني وعازف الغيتار شادي الصفدي، بالإضافة للعديد من الوجوه الموسيقية المتبدلة. هذه الفرقة المهمشة، التي نشطت منذ بداية الألفية، بتقديم أغان من التراث السوري، مكسورة بتوزيعات غربية، استفادت من الشهرة التي حققها شادي الصفدي كممثل في الدراما السورية والدراما العربية المشتركة، فبدأت برسم خط جديد لها قبل أربعة أعوام، لتنتج ألبومها الأول بعنوان «تجربة رقم 1»، الذي يضم أغاني خاصة بها. وحقق بعض الأغاني انتشاراً معقولاً على المستوى المحلي. إلا أن «سفر» قفزت إلى مستوى جديد قبل أيام، عندما أصدرت أغنية «يا ويل ويلي»، أولى عينات ألبومها الجديد «تجربة رقم 2»؛ إذ تجاوز عدد المشاهدات في الفيديو كليب الجديد عتبة المليون ونصف المليون مشاهدة على يوتيوب، وهذا الرقم يزيد عن عشرة أضعاف الأرقام التي حققتها أغاني ألبوم «تجربة رقم 1»؛ ذلك ما وصلت إليه رغم أنّ كليب الأغنية بسيط للغاية، صوره المخرج يزن شربتجي في غرفة عادية في بيت دمشقي ممسوح الملامح، وعلى إضاءة بديلة (الليدات) التي تبدو أبرز إيحاء يدل على مكان التصوير.

> تحضر في العمل لهجة مُستلهمة من التراث الغنائي السوري

في الأغنية مؤثرات ونغمات إلكترونية (فيسبوك)

بالإضافة للكليب، الذي حصل على الكم الأكبر من الإطراءات، هناك العديد من العوامل التي تستحق الإشادة في أغنية «يا ويل ويلي»، ابتداءً من الكلمات البسيطة التي تُغنى بلهجة سورية قريبة من البدوية، وهي لهجة يعزف عنها عادة المغنون السوريون، إذ يفضل معظمهم الغناء باللبنانية أو المصرية، أو بلهجة بيضاء لا تقترن بأيّ هوية ثقافية تحمل محددات منطقة بعينها.

هذه اللهجة في الغناء تجعل الأغنية تبدو امتداداً للتراث الغنائي السوري، الذي يبدو مفصولاً تماماً عن كلّ النتاج الغنائي السوري في العقود الأخيرة (باستثناء النتاج الفني بمدينة حلب). يزيد من ذلك الإحساس الموضوع الفضفاض الذي تتناوله الأغنية، والذي يبدو منسجماً مع الكليب، رغم عدم تطرقه بشكل مباشر للواقع المعيش؛ فمن خلال التلاعب على ألفاظ في ثنائية الأسود والأبيض، أو الظلّ والنور، نلاحظ إحساساً مبهماً يمكن التماسه في الكليب، حيث يرد بلازمة الأغنية: «يا ويل ويلي شاب الشعر يا بنية ونجوم ليلي تضوي هالدرب عليّ».

من ناحية أخرى، فإنّ فقر الإنتاج، يبدو أكثر وضوحاً بالتسجيل الموسيقي من الكليب؛ إذ إن الفرقة التي تعتمد على موسيقى الروك البديل عادةً، تلجأ في هذه الأغنية إلى بعض المؤثرات والنغمات الإلكترونية، لكنّها تبدو بدائية للغاية؛ ورغم ذلك فإنّها تتمكن من صناعة إيقاع فقير، لكنّه لا يخلو من التركيب، يتناغم بشكل جيد مع أداء شادي الصفدي على مقام الحجاز، لتكوّن هذه العناصر جميعها مجتمعة أغنية دافئة، من الممكن أن تكون حجر الأساس لنجاح مشروع موسيقي تأخرت انطلاقته الفعلية كثيراً.